

تاريخ النشر: 2025/06/01 تاريخ القبول: 2025/05/30 تاريخ الاستلام: 2025/02/25



اللغة الأم بين الترجمة وتعليم وتعلم اللغات الأجنبية

✍ نجمۃ زقروور
nedjma.zegrouor@univ-bejaia.dz
جامعة عبد الرحمان ميرة. بجاية/ الجزائر

The Mother Tongue Between Translation and Foreign Languages Education

~~☒~~ ZEGROUR NEDJMA
Nedjma.zegrou@univ-bejaia.dz
Abderahmane Mira -Bejaia - Algeria

ملخص البحث

اللغة أداة للتواصل ونقل وتبادل الرسائل بين الأفراد، باعتبارها الوسيلة التعبيرية الأساسية التي تؤدي إلى تأثير بالغ في الشخصية، وتعمل أساساً على توحيد المجتمع كونها فعلاً تواصلياً في سياق ثقافي اجتماعي، وتعدّ الترجمة أيضاً، كونها حدثاً تواصلياً ووسيلة وأداة لنقل الأفكار من لغة إلى أخرى قصد تسهيل التواصل والتفاعل بين مختلف الشعوب والأمم، بل هي الجسر الذي يربط بين مختلف ثقافات العالم، حيث أصبحت معرفة اللغات الأجنبية في ظل العولمة وتطور العلوم والمعلومات الدليل الذي يقود الشعوب نحو الارتقاء الحضاري، وهو الأمر الذي جعل الترجمة تحتل مكانة فعّالة في المجتمعات المتعددة اللغات، ويتجلى ذلك في شتى الميادين: في المدارس والمراكز الصحية والمحاكم والإدارة والمقابلات الإعلامية وغيرها من الفعاليات.

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على الدور الذي تؤديه الترجمة في العملية التعليمية التعلّمية للغات الأجنبية، وكيف تؤثر على المتعلم في بناء هوية جديدة ثنائية اللغة؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار الترجمة أداة بيداغوجية تساعد المعلم والمدرّس على تقديم المعرفة؟ وما المكانة التي تحتلها اللغة الأم بين الترجمة وتعليم اللغات الأجنبية.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، اللغة الأم، اللغات الأجنبية، المتعلّم، التعليم والتعلّم.

ABSTRACT:

language is a communication tool, transmission and exchange of interpersonal messages, as the main expressive medium that leads to a profound impact on personality, and a sociocultural act with the purpose of unifying society, so translation too, as a highly communicative event, is a way of transmitting ideas from a language to another, in order to facilitate communication and interaction between peoples, it's rather this bridge connecting the different cultures of the world where the knowledge of foreign languages becomes, in the light of globalization, scientific and informatics development, the guide of peoples towards advanced civilization. So translation occupies an effective position in various fields of multilingual societies: schools, health centers, courts, administrations, media interviews...

this article aims to focus on the role of translation in foreign languages education, how does it affect the learner to build a new bilingual identity? can translation be considered as pedagogical tool? and the mother tongue place between translation and didactic of foreign languages.

Keywords: translation; mother tongue; foreign languages; learner; education

1. مقدمة:

لقد تطوّرت طرائق تدريس اللغات الأجنبية في ظل الثورة العلمية والتكنولوجيا وتفجر المعرفة والمعلومات التي يعرفها عالم اليوم، فنحن في عصر العولمة الذي يقتضي الاهتمام والاعتناء بمجال التعليم والتعلم، باعتباره وسيلة فعّالة لمواكبة تغيرات ومستجدات الواقع العالمي في شتى الميادين والمجالات، حيث أصبح من الضروري تعلم لغة ثانية إلى جانب لغة الأم، كون اللغة الأجنبية تسهم بقوة في كسب المعارف ومواكبة عصر التكنولوجيا والعلم، لذا سعت معظم الدّول في العالم، خاصة تلك التي تتسم بظاهرة التعدد اللغوي، إلى إدخال تدريس اللغات الأجنبية في مختلف أطوار التعليم على اعتبار أن هذه اللغات هي مفتاح العلوم ووسيلة للتواصل بامتياز، وهي في الوقت نفسه أداة للتعرف على ثقافات الشعوب والأمم، ولتعزيز التقارب والتفاهم بينها. ولعلّ الترجمة من الأساليب التي تحتاج إليها المنظومة التربوية كونها أداة تعليمية فعّالة لتحسين مهارات تعلم اللغة الأجنبية. يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الترجمة على تطوير المهارات اللغوية المختلفة من خلال استراتيجيات تربوية حديثة، وكذا استكشاف العلاقة القائمة بين لغة الأم والترجمة وتنمية الوعي الثقافي لدى متعلمي اللغات. وكيف يعزز استخدام الترجمة قدرة المتعلم على الربط بين اللغة الأم واللغة الأجنبية.

2. مفهوم التدريس

التدريس بصفة عامة هو «عملية تفاعل وتوجيه وممارسة أنشطة متنوعة تعتمد على فاعلية المتعلمين وجهودهم وتوجيه المعلم وإرشاداته» (الحريري، 2009، صفحة ص 13)، حيث يستعين المعلم بخطة شاملة حتى يحقق هدفه من التدريس بصفة عامة وتدريس اللغة الأجنبية بصفة خاصة، ويلجأ المعلم إلى أساليب وإجراءات تتماشى وقدرات الذهنية والسيكولوجية للمتعلم بهدف إحداث تغيرات معرفية ومهارية ووجدانية تجعل من المتعلم قادرا على التفاعل في محيطه الاجتماعي وتطوير مهاراته ومعارفه في كلّ المجالات، وهو الأمر الذي يؤدي إلى النهوض بأي دولة والمضي قدما نحو تنمية مستدامة.

وثمة طرق وأساليب مختلفة تستعمل في عملية التعليم، حيث يقصد بالطريقة ذلك التخطيط العام لاختيار المادة وتنظيمها وترتيبها، أمّا الأسلوب فهو عبارة عن تلك الإجراءات الخاصة الواجب اتخاذها للتعامل مع التخطيط العام، وبالتالي تختلف طرائق التدريس عن أساليبه لأنّ «الطريقة تشمل من الناحية النظرية التوجه الفلسفي والنظرة العامة، ومن الناحية العلمية تعني طرائق اختيار المادة العلمية التي يراد تدريسها لطلبة اللغة الأجنبية... أمّا الأسلوب فيشمل النشاطات التي تستخدم داخل الفصل الدراسي لتدريس جزء من المادة اللغوية» (خرما، يوليو 1988، صفحة ص 154)، وتختلف هذه الطرائق من حيث الأسس اللغوية والنفسية والاجتماعية، إذ تتعلق الأسس اللغوية بـ «نظرية اللغة التي قامت عليها، والأسس السيكولوجية تتعلق بنظرية التعلم التي بنيت عليها. أما الأسس الاجتماعية فإنّها

مرتبطة بنظرية ملكة التواصل من جهة، وبأهداف تعليم اللغة الأجنبية من جهة أخرى» (خرما، يوليو 1988، صفحة ص 154)، ويرتبط نجاح هذه الطرائق بقدرة أساليبها على جعل الدّارس يتمكن من المهارات الأربع الأساسية (الاستماع والتحدث والكتابة والقراءة)، وينبغي أن يتجلى ذلك عند المتعلمين «من حيث فهم ما يسمعون أو يقرؤونه عندما يصل إليهم عن طريق مستخدمي اللغة الآخرين، وخصوصا الناطقين الأصليين بها، ومن حيث استخدام اللغة عندما يتطلب الموقف إيصال معنى رسالة معيّنة للآخرين في الإطار الاجتماعي الذي تستخدم فيه تلك اللغة» (خرما، يوليو 1988، صفحة ص 154).

ومن أشهر الطرائق في تعليم اللغات الأجنبية وأشهرها في الحدوث هي طريقة القواعد والترجمة، ثمّ ظهرت الطريقة المباشرة كردّ فعل للعيوب التي اتصفت بها الطريقة الأولى، وعندما احتاج النّاس إلى أسلوب سريع لتعلم اللغات الأجنبية لجأ هؤلاء إلى الطريقة السمعية الشفوية ومن ثمّ إلى الطريقة السمعية البصرية، لتأتي في الأخير الطريقة الاتصالية التي تهدف إلى تحقيق التواصل، على اعتبار هذه الطريقة وسيلة التعبير عن مختلف الوظائف اللغوية. وقد جاءت الطريقة التواصلية إثر «ظهور النظريات اللغوية الجديدة مثل نظرية القواعد التوليدية التحويلية، ونظريات التعلم، خصوصا النظريات المعرفية وانعكاساتها على تعلم اللغات (الأجنبية)، ونظريات علم اللغة الاجتماعي الذي أخذ يركّز على قواعد وأساليب استخدام اللغة في المجتمع، وعلى الوظائف اللغوية التي تتحقق من خلال ذلك» (خرما، يوليو 1988، صفحة ص 168).

والغاية من اللجوء إلى هذه الطرائق في تعليم اللغات الأجنبية هو الابتعاد عن التعليم بوساطة الترجمة، وإذا كان الأمر كذلك هل هذا يعني أنّ الترجمة لا تؤدي دورا فعّالا اليوم في مجال تعليم اللغات الأجنبية؟ قبل اللجوء إلى توضيح هذه القضية وجب الوقوف أولا على ملامح طريقة القواعد والترجمة، وأسباب التخلي عنها واعتماد طرائق أخرى لتحقيق تعلم اللغات الأجنبية.

1.2 التدريس عن طريق القواعد والترجمة

تعدّ طريقة التدريس عن طريق القواعد والترجمة من أقدم الطرائق التي استخدمت في تعليم اللغات الأجنبية، حيث ركّزت هذه الطريقة على تدريس قواعد اللغة الأجنبية باللجوء إلى اللغة الأم والاستعانة بها، بمعنى يتم التدريس عبر لغة وسيطة ويُعلّم عن طريقها اللغة الهدف، إذ تقدم المفردات المستهدفة على شكل قوائم باللغتين الأجنبية والقومية (الأم) للحفظ عن ظهر قلب بالتركيز على الأحكام النحوية، فهي بذلك طريقة تعلّم عن اللغة أكثر من تعليمها للغة، كما اهتمت هذه الطريقة وركّزت أكثر على القراءة والكتابة حيث «كان الدرس يتألف في معظمه، من خليط من استخدام اللغتين الأجنبية والقومية في عملية الترجمة» (خرما، يوليو 1988، صفحة ص 157)، وأهملت طريقة القواعد والترجمة الجانب الأساسي في اللغة وهو الجانب الشفهي؛ أي الكلام والقدرة على التواصل، باعتبار الكلام يشكّل

أداة فاعلة يعزّز التماسك الاجتماعي ويسهم في تنمية الشخصية الفردية، وبالنظر إلى ما ألحق بمفهوم التواصل من أبعادٍ جديدةٍ إثر التقدم والتطوّر المُهمّين اللّذين عرفتهما التكنولوجيا الحديثة، واتساع دائرة الممارسات الإعلامية التي جعلت من التواصل المحور الأساس في الأبحاث العلمية، كما انصب اهتمام كثير من الدّراسات الفلسفية والأنثروبولوجية والاجتماعية واللغوية على عملية التواصل، كونها تسمح للأفراد بإقامة شبكة تتطوّر من خلالها علاقاتهم، ويكتشفون بفضلها نقاط التشابه والاختلاف التي تسمح بخلق علاقات نفسية واجتماعية بينهم، وقد تكون هذه العلاقات عبارة عن نزاع أو صراع وتخريب كما يمكن أن تتسم بالتفاهم والثراء والتعاون على تأسيس المعرفة والقيّم، باعتبار أن التفاعلات هي التي تجعل من الأفراد مجموعة اجتماعية - (Patrick Charaudeau, 2000, pp. pp 108-109).

ويؤكد "أحمد المتوكل" (2011)، أنّ التواصل ينتج عن التخاطب من خلال الاتصال القائم بين المتكلم والمخاطب في مقام معيّن، ولا يحصل هذا التواصل إلّا «حين يفهم المخاطب تمام الفهم خطاب المتكلم من حيث فحواه ومن حيث مقصده معا» (المتوكل، 2011، صفحة ص 18)، لأنّ ثمة تخاطب لا يؤدي إلى التواصل وذلك «حين لا يتقاسم المتخاطبان الأداة المتواصل بها» (المتوكل، 2011، صفحة ص 18)، ويتجلى ذلك عندما لا يفهم أحد المتخاطبين لغة آخر، و«حين يشوب الخطاب اضطراب ما في مقوّماته البنيوية نفسها أو في مطابقته لمقام التخاطب إنتاجا أو تلقيا» (المتوكل، 2011، صفحة ص 18)، ويكون هذا الاضطراب، حسب "المتوكل"، إمّا عرضي أو مرضي، وعلى هذا الأساس دعا أهل الاختصاص في مجال التعليم إلى رفض منهجية التعليم بوساطة القواعد والترجمة، لأنّها لا تربطها صلة بالمهارات الأربع التي تؤدي إلى إتقان لغة ما، ولا تتماشى وأهداف عملية تعليم واللغات الأجنبية في ظل التكنولوجيا وثورة المعلومات والاتصال، لذا ينبغي إعطاء الأولوية للكلام ومنهجية المشافهة والتعبير في عملية تعليم اللغات الأجنبية، وهو الأمر الذي يجعل المتعلم يفكر بطريقة مباشرة في اللغة الأجنبية دون اللجوء إلى لغة الأم.

وقد أجريت دراسات حول إمكانية إدراج الترجمة في عملية التعليم والتعلّم بين سنة (2006-2008)، وأفضت كلها إلى أنّ الترجمة في تعليم اللغات أمر ضروري وفعّال، إلّا أنّه ينبغي التركيز على المعنى والفهم (Mlmkjaer, 2016, p. p 187) إلى جانب مراعاة تنميط اللغات من حيث الرتبة والتغليب والانعكاس التداولي والدلالي (المتوكل، 2011، الصفحات صص 47-48)، وعلى المعلّم، حسب "دوريو"، أن «يضع الطلاب في وضع تقييم أسس المبادئ المطروحة وفاعلية الطريقة المقترحة وقيمة المنهجية المتبّعة. وهنا عليه، في سبيل هذه الغاية، أن يحضر تمارين تقدّم أمثلة تبني صحّة تعليمه النظري» (دوريو، 2007، صفحة ص 20). والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: هل الترجمة وسيلة أم غاية لتعليم وتعلّم اللغات الأجنبية؟

تشمل الترجمة بوصفها تخصصاً قائماً بذاته، على ميدان التنظير من جهة وميدان التطبيق من جهة أخرى، وهذا الأخير ينبغي، في نظر الباحثين، أن يتضمن عملية تعليم اللغات بهدف إعداد المترجمين، إذ يُنظر إليها «على أنها ميدان جديد له ملامحه المحددة في إطار الدراسات التطبيقية» (منوفي، 2007، صفحة ص 673)، ويرى الباحثون في هذا الميدان، أنه تمّ استدراك من خلال هذا الطرح خطأين فادحين في عملية تعليم اللغات، ويتجلى ذلك في كون تعليم هذه الأخيرة يتمّ «في كثير من مراكز الترجمة دون الأخذ في الاعتبار الضرورات النوعية لتعليم الترجمة... ونجد أنه إذا اقتصر تعليم اللغة الأجنبية على نقل المعارف العامة للغة دون النظر إلى التخصص فسوف نجد أنفسنا أمام فراغ لم تتم تغطيته» (منوفي، 2007)، وهو الأمر الذي تطرقت إليه "كريستين دوريو" Christine Durieux في أبحاثها حول تعليم طرائق عمل الترجمة المحترفة، إذ تقترح، على حدّ قول "سليسكوفيتش" Seleskovitch «نموذجاً تربوياً لإعداد مترجمين يتعين عليهم أن يقربوا في حياتهم المهنية مجالات متخصصة لا يأخذها في الحسبان التعلّم التقليدي للغات الأجنبية» (دوريو، 2007، صفحة ص 13)، حيث عالجت الباحثة، بشكل منهجي، المشكلات التي قد يتعرض لها المعلم والمتعلم أثناء العملية التعليمية التعلمية، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هو البديل الذي قدّمه الباحثون في عملية تعليم اللغات الأجنبية عن طريق الترجمة؟ وما الدور الذي تلعبه عملية تعليم اللغات في إعداد المترجمين؟ وهل تعليم اللغات الأجنبية يقتضي تعليم الترجمة؟

3. هل الترجمة أداة بيداغوجية؟

ثمة فرق بين الترجمة الاحترافية والترجمة البيداغوجية، حيث هذه الأخيرة تكون بمثابة أداة وتقنية في مجال تعليم وتعلّم اللغات الأجنبية، وكان يعتمد على الترجمة الحرفية قصد الوصول إلى النصّ الهدف دون مراعاة جانب الفهم، وهي الآلية التي أستخدمت في إطار تعليم اللغات، أي طريقة النقل من لغة أجنبية إلى اللغة الأم، وينادي الباحثون في هذا المجال إلى التخلي عن هذه الطريقة لأنها خاطئة وسبيل مسدود ينبغي عدم ولوجه، إذ ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار النصّ بأكمله؛ أي يجب «اتباع الخيط المنطقي وعدم ترجمة جمل متتالية الواحدة بمعزل عن الأخرى ثم العمل على رصفها الواحدة بجانب الأخرى» (دوريو، 2007، صفحة ص 66)، بل على المتعلم أن يفهم ما يقرأ حتّى يتمكن من عملية الترجمة، بمعنى أن يكون المتعلم «قد وصل إلى الحد الأدنى من المعارف العامة بشأن اللغة الأجنبية التي يتعلّمها (أي الإلمام بأساسيات قواعد اللغة والإلمام بالحد الأدنى من المعجم اللغوي» (منوفي، 2007، صفحة ص 637)، فاستخلاص معنى الرسالة يكون بوساطة جهد الفهم الذي يأتي مباشرة بعد قراءة النصّ الأصلي، لأنّ «الفهم يتمتع في الحقيقة بـ "أسبقية" على عملية الانتقال إلى اللغة الهدف. ولا يمكن لإعادة التعبير الصحيحة والواضحة إلا لما سبق وفهمناه» (دوريو، 2007، صفحة ص 65)، حيث يحدث الفهم على مستوى النصّ المصدر وهو بمثابة «نهج تبليان دلالات الألفاظ» (دوريو،

(2007)، وهذا الأمر يسمح بعملية الفهم أيضا على مستوى النص الهدف، وهو هنا بمثابة «نهج تسمية المعاني» (دوريو، 2007)، إذًا، الفهم يأتي في مرحلة تسبق الانتقال إلى اللغة الهدف، ونلاحظ من خلال الآراء السابقة أنّ تعليم اللغات الأجنبية مرتبط بعملية إعداد المترجمين، لأنّ الغاية المتوخاة من تعليم اللغات الأجنبية هو عملية إعداد مترجم لا يلجأ إلى فك الرموز كلمة بكلمة وإنّما يسعى إلى فك المعنى الذي يحمله النص وليس اللغة التي تعبّر عنه، وإذا كان الأمر كذلك فما هي الأهداف الأساسية المسطرة من أجل ذلك؟

4. الأهداف الرئيسية في تعليم اللغات الأجنبية لإعداد المترجمين

تعدّ الترجمة أقدم نشاط عرفته البشرية باعتبارها حدثا ونشاطا تواصليا بامتياز، وقد مارست الشعوب هذا النشاط على مختلف أجناسها ولغاتها لتحقيق التواصل والاحتكاك الحضاري الثقافي، وتطورت الترجمة عبر العصور التاريخية والإنسانية، ويتجلى هدفها الأسى في تلبية حاجة إنسانية أساسية للتواصل بين الثقافات، إذ تحدث الترجمة نوعا من المثاقفة مع الغير كونها حركة إبداعية تؤدي بالشعوب والأمم إلى النهضة والتقدم، وبالتالي فهي أرضية مناسبة للتواصل والحوار بين الأديان والحضارات، ومواكبة العصر والعالم فكريا وثقافيا.

لقد فرض تعدد اللغات وتنوعها اللجوء إلى الترجمة كونها الركيزة الأساسية في عملية التواصل بين الشعوب والأمم بمختلف ثقافتهم وتقاليدهم، لأنّ الترجمة « بمثابة برهان على وحدة اللغات » (بيرمان، 2010، صفحة ص63)، على اعتبار اللغة العالمية هي اللغة التي ترجمت إليها مؤلفات مختلفة، إذ إنّ لا تقتصر الترجمة على تسهيل الاتصال الثقافي فحسب بل تُعنى باللغة وعلاقتها بالمعنى، والثقافة وعلاقتها بسياق النص، وكذا التفاعل القائم بين الكاتب والقارئ والنص، ممّا أدّى النظر إلى الترجمة على أنّها الحلّ الوسيط لمشكلة تعدد اللغات وتنوعها ووسيلة ضرورية وحتمية للتفاهم بين مختلف أجناس المعمورة، لأنّ الترجمة باعتبارها أداة لإثراء اللغة واحترامها وتطويرها وعصرنتها، فهي في الوقت نفسه تعمل على انفتاح هذه اللغة على اللغات الأخرى واللهجات المحلية.

ويذهب الباحثون إلى أنّ «الترجمة ليست عملا موجهًا نحو ممر إجباري، بل هي على العكس إبداع مستمر. إن الترجمة معالجة للمعلومات تقضي باتخاذ سلسلة متواصلة من القرارات» (دوريو، 2007، صفحة ص35)، فثمة تكامل بين تعليم اللغات الأجنبية وعملية توجيه الترجمة إلى الوجهة الصحيحة واجتناب الوقوع في الأخطاء من خلال لجوء المتعلم إلى فهم ما يُقرأ، ومن ثم الفصل بين اللغة الأجنبية واللغة الأم إذ يدرك الاختلاف بينهما على مستوى الكتابة أثناء التحرير، وعلى مستوى المعجم والنحو والصرف، ويلجأ المتعلم إلى استعمال القواميس ومختلف الكتب الخاصة باللغة وقواعدها، وعلم الأسلوب، وكذا تفسير الرموز والمختصرات، يراعى في ذلك الربط بين اللغة والثقافة من خلال إجراء تقابل ومقارنة بين اللغتين، حيث يؤخذ بعين الاعتبار التفسير الصحيح لملامح الثقافتين.

وقد اتخذت طريقة تعلم اللغة في المجتمع، الترجمة وسيلة لتعلم اللغة الأجنبية، إذ بعد أن يتعرف المتعلمون على بعضهم بعضاً، وتصبح العلاقات ودية بينهم باستخدام لغتهم الأصلية كأداة للتواصل بينهم (لتكن العربية)، ثمّ يجلس المتعلمون في دائرة « ويجلس المدرس خارج هذه الدائرة. وعندما يرغب أحد الدّارسين في قول شيء أو طلب شيء من فرد في المجموعة، أو من أفراد المجموعة ككل، فإنّه يقول ذلك بلغته الأصلية أي (العربية)، بينما يقوم المدرس بترجمة ذلك إلى اللغة الأجنبية أي (الإنجليزية مثلاً)، فيقوم المتعلم بإعادة ما قاله المدرس باللغة الإنجليزية، ويرد عليه أحد الدّارسين بلغته الأصلية (العربية)، ويقوم المدرس بترجمة ذلك إلى الإنجليزية، ويعيده الطالب الثاني بهذه اللغة. وهكذا يستمر الحوار» (خرما، يوليو 1988، صفحة ص174).

وعليه ثمة أسس معيّنة تتعلق بالترجمة تساعد على تعلم اللغات الأجنبية بطريقة سليمة، لذا لا يمكن تعلم لغة أجنبية من خلال النقل العفوي من لغة إلى أخرى وإنّما ينبغي على المتعلّم أن ينقل «القيم التواصلية التي هي التأثير البراغماتي والاجتماعي الناجم عن توليد المعنى»، (غريغوري، 2002، صفحة ص195)؛ أي توصيل المعنى دون التقيّد بقواعد النحو اللغة المصدر، فالترجمة أداة فاعلة في تثمين الروابط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين البلدان والمجتمعات الإنسانية، فهي تحقق تواصلًا حقيقياً بين مختلف الشعوب، بل تخلق جسراً تمر عبره المعاني والأفكار والأحاسيس والمضامين الثقافية من شعب إلى آخر، وثمة اعتقاد في أساس مناهج تعليم الترجمة يذهب إلى أن الإنسان « يكتسب القدرة على الترجمة، كما القدرة على تعلم اللغات بشكل فطري... لا يمتلك تعليم الترجمة فقط أهمية تطبيقية بحتة، تتمثل في تكوين لدى المتعلمين الكفاءة الترجمية اللازمة، بل ويؤدي أيضاً وظائف هامة، لغوية عامة وتعليمية عامة» (كوميساروف، 2002، صفحة ص318)، إذ يهتم الدارس من خلال دروس الترجمة بأدق التفاصيل المتعلقة بدلالة السطحية والعميقة للوحدات اللغوية، ويركّز أيضاً على النظام اللغوي الخاص بكل لغة، ورؤية هذه اللغة للعالم.

5. اللغة الأم والترجمة وتعليم اللغة الأجنبية

تزداد الحاجة إلى الترجمة مع الزيادة المستمرة في التواصل العلمي؛ فبانعدام الترجمة تضيق فرصة نقل المعارف بين الحضارات، وستبقى قيّم الثقافات الأخرى الأخلاقية والجمالية بمعزل عنّا. وقد أسهمت الترجمة بشكلٍ فعّال في إثراء محتوى اللغات من حيث معجمها وتركيبها وأسلوبها، ولعبت دوراً رئيساً في تطوير اللغات إلى ما عليه اليوم. وقد استفاد علم الترجمة من الدراسات التي كُرسَتْ لثنائية اللغة (bilinguisme)؛ أي القدرة اللغوية الفردية (Moureau, 1997, pp. pp 126-127)، وهو ذلك التناوب الذي يحدث على مستوى استعمال لغتين مختلفتين من قبل المتكلم، الذي يدرج في خطابه، على اعتبار أنّه ثنائي اللغة، كلمات وعبارات تنتمي إلى اللغة الأخرى؛ أي يحدث تداخل لغوي في ذهن المتكلم، و«تقود هيمنة لغة على أخرى في ذهن ثنائي اللغة إلى حقيقة أنّه وتحت تأثير اللغة المهيمنة (عادة لغة الأم)

بتعرض كلام الشخص ثنائي اللغة للتغير تأثراً باللغة الثانية، فهو عن غير قصد ينقل على هذه اللغة بعض خصائص اللغة الأم» (كوميساروف، 2002، صفحة ص78)، وهذا التداخل اللغوي هو الذي يعيق تعلم اللغة الأجنبية والاتصال الناجح، إلا أن بعض المختصين في الميدان يرون أن «المخالفة لقواعد اللغة في الترجمة تحت تأثير الأصل تعتبر لدى البعض إضراراً باللغة، وعند الآخرين إثراء لها» (كوميساروف، 2002، صفحة ص293).

والمترجم في الحقيقة هو ثنائي اللغة، ولا تتحدد إمكانياته في النشاط الترجمي من خلال معرفته وإتقانه للغتين فحسب، وإنما تتجلى كفاءة المترجم أكثر في «القدرة على إيجاد وربط أدوات هاتين اللغتين المتكافئة تواصلياً مع حسابان خصائص العملية المعينة للتواصل، وكذلك معرفة المبادئ والأساليب والتقنيات المكونة لمثل هذه المهارة» (كوميساروف، 2002، صفحة ص79)، لذا تدعو المؤسسات التعليمية التي تقوم بإعداد المترجمين، إلى تعليم المترجم شتى التخصصات كالاقتصاد والسياسة والمحاماة وغيرها، ومن ثمّ تعليمه إعداد نفسه لترجمة النصوص المعقدة.

هذا، ولم تعد تغفل الترجمة عن الجانب الأساسي للنص الذي يُترجم وللغة التي تتمّ بها عملية الترجمة، ألا وهو تحقيق التواصل وإحداث التأثير في متلقي النص الهدف، حيث تجددت نظرة المترجمين إلى عملية الترجمة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية بقدر ما هي لغوية تقدم لنا الوسائل التي تساعدنا على اكتشاف بنيات النصوص ووظائفها في مجتمع ما، وبوصفها نشاطاً تواصلياً ذات أبعاد لسانية واجتماعية وثقافية ونفسية تتلاحم كلها قصد توصيل المعنى إلى اللغة الهدف من دون التقيّد بقواعد النحو الخاصة باللغة المصدر، والترجمة بهذا المفهوم عبارة عن طريقة ناجعة في تعلم اللغات الأجنبية التي تحقق من خلالها أيضاً التواصل بين الشعوب والحضارات، ويمكن القول أن تعليم الترجمة هو إجراء بمثابة غاية لتعلم اللغات الأجنبية بطريقة مباشرة وتواصلية، حيث على المترجم، في نظر "إتيان دولي" (1509-1546) Étienne Dolet، مراعاة المبادئ الأساسية للترجمة، إذ يجب على المترجم: »

- بشكل تام فهم مضمون النص المترجم، ونية المؤلف الذي يترجم له؛
- الإتقان التام للغة التي يترجم عنها، وبالذات الدرجة إتقان اللغة التي يترجم إليها؛
- تجنب النزعة إلى الترجمة كلمة بكلمة، لأنّ من شأنها تشويه مضمون الأصلي، وتدمير جمال شكله؛
- أن يستخدم في الترجمة أشكال الكلام الأكثر شيوعاً؛
- لدى انتقائه الصحيح والتوزيع للمفردات أن ينقل الانطباع العام الذي ينتجه الأصل "بالنغمة" المناسبة»، (كوميساروف، 2002، صفحة ص106)، ونلتبس هذه المبادئ من خلال الوصايا العشر التي صاغها المترجم "لويس ترفو" Truffaut Louis، الذي كان رئيساً لمدرسة الترجمة بجامعة جنيف ورئيساً لقسم الترجمة الفرنسية فيها، إذ يدعو هذا الأخير المترجمين في كتابه: (Traducteur tu seras, Dix

(1997, *commandements librement argumentés*)، إلى التقيّد بهذه الوصايا لإنجاح عملية التواصل، والتي نلخصها كما يأتي:

ينبغي على المترجم أن يفرق بين الترجمة واللسانيات، ويلمّ بالموضوع الذي يترجمه، وأن يعرف المعنى ويبنيه بالاستناد إلى المعايير الموضوعية دون الشخصية، وعلى المترجم أن يلتزم الكلمة الصحيحة من خلال السياق الذي ترد فيه، وأن يحافظ على روح النصّ الأصلي وأن يعبر عن ثقافته وشخصيته ويأخذ الظروف بعين الاعتبار حتّى يتسنى له إيصال فكرة كاتب النصّ المصدر، ومن ثمّ يرتّب كلامه دون المساس بخصوصيات النصّ المصدر ويتطلب من أجل ذلك السيطرة على الوقت وعلى ضغط العمل، وقد لخصّ "ماهر عبد الهادي هذه الوصايا قائلاً: «أما بين الألسنية والترجمة ففرّق، أما في الموضوع فتعمّق وأما المغزى فطوّق، وأما المعنى فندسّق، وأما الكلمة الصحيحة ففروّق، وأما الإبداع ففوق وأما بيئتكَ فتشدّق، وأما الظروف فاعتنق، وأما النصّ فتمنّق وأما الوقت وضغط العمل فتوثّق» (مشلاب، د.ت، صفحة ص24).

6. خاتمة:

وعليه تقتضي مهنة الترجمة نشاطاً عقلياً ورياضة لغوية ذهنية تتطلب معارف وقدرات ومهارات معيّنة، وإعداد مترجمين بالمواصفات، المذكورة أعلاه، يتطلب أيضاً معلّماً يمتاز بكفاءة تؤهله إلى تحقيق هدف التعليم المتمثل خاصة في تطوير مهارات الدارسين، حيث تكون مهمّته الأساسية تعليم أسس الترجمة، في حين يرى بعض المختصين أنّه «على الرغم من أنّ تعليم اللغة الأجنبية لا يدخل في المهمّة الأساسية لمعلّم الترجمة، إلا أنّه يضطر في كثير من الأحيان للعب هذا الدور أيضاً. غالباً ما تنشأ الصعوبات في عملية الترجمة بسبب إتقان الدارسين غير الكافي للغة الأجنبية، إذ يتوجهون بشكل دائم إلى المعلّم باستفسارات عن معنى أو الاستخدام الصحيح للأدوات اللغوية» (كومييساروف، 2002، صفحة ص335)، وهذا الأمر يؤدي إلى تجاوز الصعوبات أثناء عملية الترجمة، ونؤكد هنا أنّه ثمة تكامل بين تعليم اللغات الأجنبية والترجمة؛ بمعنى أنّ معلّم الترجمة هو من ناحية، بمثابة معلّم اللغة الأجنبية ويتدخل أحياناً ليصحّح الأخطاء في اللغة الأم بشكل مقنع من ناحية أخرى، فالمتعلم يتعلّم استراتيجيات عملية الترجمة وفي الوقت نفسه فهو يكتسب ويتعلّم اللغات الأجنبية وبالتالي يحدث الاتصال بين اللغات المؤدي إلى إمكانية التواصل بين الذوات المتحدثة بلغات مختلفة؛ وتطوير الكفاءة التواصلية والكلامية.

فالترجمة، إذًا، أداة تعليمية تساعد المدرّس على تقديم المعرفة، وهي وسيلة تساعد المتعلم على تعلم اللغات الأجنبية، حيث تؤدي الأساليب الحديثة التي توصلت إليها الدّراسات في مجال الترجمة دوراً فعّالاً في ميدان تعليم اللغات الأجنبية، وبالتالي فإعداد المترجمين غاية في حدّ ذاتها لتعلم اللغة الأجنبية، والمترجم المحترف، في نظرنا، الذي تتوفر فيه الشروط اللازمة، التي سبق ذكرها، هو المؤهّل أن يكون

معلّمًا ومدرّسًا للغة الأجنبية في مختلف أطوار التدريس، إذ يمكن له اللجوء إلى لغة الأم أثناء التدريس بطريقة سليمة، مراعيًا في ذلك خصائص لغة الأم وخصائص اللغة الأجنبية بحكم أنّه يعلم ويُدرّك أنّ لكل لغة عبقريتها.

يشهد العالم اليوم في ظل الذكاء الاصطناعي تطورًا كبيرًا على مستوى تقنيات استعمال مختلف أدوات التعليم الحديثة في كل المراحل الدّراسية، وتعدّ الترجمة الذكية من بين التقنيات الجديدة التي حتماً سيتم إدماجها في المناهج التعليمية من أجل تعزيز تعليم وتعلّم اللغات، والسؤال المطروح هنا؛ هل يمكن الاعتماد على الترجمة الذكية في تعليم وتعلّم اللغات دون تدخل الترجمة البشرية إلى جانب اللغة الأم؟

نخلص، إذ، إلى أن الترجمة تؤدي دورًا حيويًا في تعليم اللغات الأجنبية كونها وسيلة فعالة للتفاعل مع مواد تعليمية أصلية تتجاوز الجانب اللغوي. فهي بمثابة أداة استراتيجية لفهم المعاني والنصوص في سياقاتها الأصلية، مما ينبّي المهارات اللغوية لدى المتعلمين التي تتجلى في إمكانية التواصل باستعمال لغات أخرى إلى جانب اللغة الأم. لأن الترجمة على العموم بشرية كانت أم ذكية، تسهم بقوة في تحقيق التعلّم المتكامل (النظري والتطبيقي) الذي يعزز قدرة المتعلم على استعمال اللغة في مواقف متعددة غير نصوص متنوعة الثقافات التي تؤدي إلى توسيع آفاق المتعلمين الثقافية وبناء وعي ثقافي ثري وفهم أعمق. ضع في خاتمة البحث تلخيصًا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل إليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

الهوامش:

- Mlmkjaer,K.(2016,Aout 8). Apprentissage des Langues et Traduction. Grenoble, université, France. Cosulté Janvier 29, 2025 sur <https://hal.archives-ouvertes.fr/hal.01352426>
- Moureau,M.L. (1997). Sociolinguistique Concepts de Base. Belgique : Mardaga.
- Patrick Charaudeau, D. M (2000). Dictionnaire d'Analyse du Discours. Paris : éd du Seuil
- الحرير، ر. (2009). طرق التدريس بين التقليد والتجديد: دار الفكر، ط1
- المتوكل. أ. (2011). الخطاب الموسّط مقارنة وظيفية موحّدة لتحليل النّصوص والترجمة وتعليم اللغات.: الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1.
- بيرمان. أ.(2010)، الترجمة أو الحرف أو مقام البعد، ترجمة وتقديم: عزّ الدين الخطابي، مراجعة: جورج كنتورة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1.
- خرما، ع.ح. (1988). اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب (سلسلة علم المعرفة).

- دوريو، ك. (2007). أسس تدريس الترجمة التقنية، تر: هدى مُقنَّص. بيروت: المنظمة العربية للترجمة توزيع دراسات الوحدة العربية. ط1.
- غريغوري، ن. أ. (2002). الترجمة وعلوم النص، تر: محي الدين حميدي. الرياض: جامعة الملك سعود.
- كوميساروف، ف. ن. (2002). علم الترجمة المعاصر، تر: عماد محمود حسن طحينة. أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) 2010.
- ميشلاب، ر. (د.ت). موسوعة الترجمان، صناعة الترجمة وأصولها (قاموس المترجم بين العربية والفرنسية). بيروت: دار الراتب الجامعية.
- منوفي، ع. (2007). المترجم كوسيط ثقافي. ضمن كتاب: الترجمة والثقافة بين النظرية والتطبيق. إعداد علي سامي وآخرون. القاهرة: دار الكتاب الحديث.